كلمة حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا

وزير الداخلية والشؤون الاجتماعية

فى حفلة نقابة الصحفيين لتكريم معاليه

حضرة الأستاذ النقيب

اخوانى الصحفيين

لقد جئت لأكرمكم فكرمتونى ، وأردت أن أشبعكم ثناء فأشبعتمونى . ولئن دعوتونى الى مائدة طعامكم وشرابكم فلقد استمرأت مائدة علمكم وآدابكم . . وانها لمائدة عامرة بالاخوان ، حافلة بأشهى الألوان . . شعور رائع ، وتزجامع ، وحب بدا فى أجمل الصور ووقار اتفقت فيه الصحافتان الأجنبية والمصرية ، وعبرت عنه الالفتان الفرنسية والعربية .

فاذا تكلمت بينكم فلا لأجاريكم فى مبدأكم ولا لأحاول بيانا كبيانكم بل لأؤدى بعض ما أنتم أهله من التحية والشكر ، أو لألتمس عن التقصير بعض العذر . . نعم لأشكر لكم كريم عواطفكم ونبيل مشاعركم ، ولأحييكم تحية هى منكم وإليكم .

أجل هى تحيتكم — أيها الاخوان — فما أحسبنى الا واحد منكم ، يحس احساسكم ، ويشعر شعوركم . . وليس أحب الى قلبه من أن يكون زميلا لكم ، وعضوا بينكم .

أيها السادة

لقد تفضل خطباؤكم فنوهوا بأعمال عدوها خدمات أسديتها ، وما هى الا فروض للصحافة أديتها ، وإذا صح أنى قمت بعمل موفق سديد ، فانى أدعو الله أن يؤتينى القدرة على المزيد ، وأن يبلغنى فى خدمة الصحافة كل ما أزيد .

إنى لأقدر الصحافة حق قدرها ، وأعرف أنها مدرسة من تعلم ومن لم يتعلم ، فهى للأول نمو وكمال ، وهى للثانى عوض عما حرمته من صروف الأيام . وأعرف أنها نعم الموجه للحكومات ، ونعم المثقف للشعوب ، وخير سفير بين الحاكم والمحكوم ، وأعرف أنها مقيدة حين تطرى وتمدح ، نافعة حين تنقد وتقدح ، وأذكر أثرها الكريم فى نهضة هذا الوطن العزيز ، ونصيبها العظيم من جهاده للاستقلال والحرية ، وتضحياتها البالغة فى هذا السبيل .

لذلك كله أيها الاخوان ، أحببت الصحافة وقدرتها ، بل لقد كانت مهوى نفسى فى مطلع حياتى ، ولقد ظل حبى لها يزداد على الأيام ، ويخبو بمرور الأعوام . . . وظل إيمانى بالرسالة الجليلة التى تنهض بأعبائها الصحافة والعمل العظيم الذى يقوم به الصحفيون هو السراج الذى أستضىء به فى تصريف ما يتعلق بها من الشؤون .

ولذلك كله أيضا أحببت عملكم وأحببتكم من أجله ، فاذا كنتم قد أقمتم هذ الحفل — كما تقولون — لتكريمى ، فان هذا المعنى أبعد ما يكون عن تقديرى وتفكيرى .

وإنما هى تحية الوفاء لأخ لكم ، ومودة القربى لعضو منكم ، يسره أن تتاح له مثل هذه الفرصة فى الجلوس إليكم والتحدث معكم . .

أيها الاخوان

احفظ فيما أحفظ ، كلمة " لملتون " الشاعر الخالد يقول فيها :

(أعطنى حرية القول ، وحرية الضمير ، وحرية الاعتقاد ، ولا تعطنى شيئا بعد ذلك) .

وليست هذه الكلمة الصادقة فى الواقع إلا تصوير صادق لشخصية الصحفى وتوضيح ناطق لمهمته ووجهته ، فالصحفى الذى يغرس غرس الحرية فى النفوس ويجمع من حولها العواطف والقلوب ، إنما هو رجل حر ، يعيش بالحرية وللحرية .

وإذا قلت الحرية ، فانما أعنى الحرية التى تقف دائما فى كل اتجاهاتها عند الحقيقة الناصعة المنيرة ، . وليست هذه الحقيقة إلا الحق المطلق ، لا يشوبه الرياء أو الزيف ، والواجب المطلق لايدخله الغش ولا الكذب ، واليقين المطلق لا يعتوره شك ولا ريب .

وعلى هذا لا يطيق الصحفى الحق أن يرى نفسه مغلوبا باصطلاح أو عادة ، ولا يستطيع أن يقبل العيش فى ذل من الباطل وهوان من الرأى .

ومتى كان الصحفى عند هذه الحقيقة بعقله وقلبه وقلمه ، فهو لاشك رسول إصلاح ، تملأ الحرية اهابه قوة فى الشعور بالواجب ، وإيمانا بالحق ، واستقامة على الصدق ، ومراقبة الله فى القول والعمل ، وتلك لعمرى صفات القادة والمرسلين ، وشيمة الحكماء الصادقين ، وطبيعة المصلحين المخلصين . بل ذلك هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . .

بهذا المعنى — أيها الأخوان — كانت الصحافة فى حياة الأمم ونهضاتها الروح والمبدأ ، تمشى بالحاضر إلى المستقبل ، وتمهد الطريق بالقول إلى العمل ، تنبض بها قلوب الأفراد والجماعات ، ويسطر عنها التاريخ ما يروى من سير وآيات .

وبهذا المعنى ، كانت الصحافة عندنا قيادة الأمة فى أبان الثورة ، ودعوتها المرسلة للأخذ بأسباب النهضة ، وصوتها الذى ينطلق فى وجه الظلم حتى يمحى ، ويواجه جبروت الطغيان حتى يزول .

وبهذا أيضا كانت الصحافة أداة استقلالنا ، ودعامة قوية من دعائم نهوضنا ، على ندائها فزعنا ، وبهديها ، سرنا حتى لنا ما لمنا ، وهو بحمد الله أكثر مما أملنا ، واننا لنرجو منه المزيد .

اخوانى المصريين

قد تحدثت اليكم حديث الأصدقاء والأحباب ، وآن لى كوزير أن أقدم بعد ذلك الحساب . فان رأيتم أننى خدمتكم بذلك ، وإلا فاظهروني على ما يحقق لكم كل أمانيكم ، ويكفل لكم حسن القيام بواجبكم . فانه ليسرنى كثيرا أن أضع موضع العناية جميع ماتبدونه من الآراء والمقترحات ، ليكون عملكم يسير الماء ، سهل الأداء جهد المستطاع .

لقد دعمت هذه الحرب العالم بأرمقته ، وفرضت على الناس الكثير من الأعباء الثقال — المحاربين منهم والمحايدين — فكان علينا أن نحمل منها أخف الاحمال بالقياس الى غيرنا ، وفاء لعهودنا والتزاماتنا من جهة ، وحرصا على وضعنا الديمقراطى من جهة أخرى . ولم يكن بد من أن ننتصر للديموقراطيات التى تدافع عن هذه المبادى المقدسة ، ولم يكن بد أيضا من أن نضع بأنفسنا لأنفسنا — فى أضيق نطاق — بعض القيود التى يظل معها هذا الحكم الديمقراطى قائما سليما .

وكانت الرقابة على الصحف بعض هذه القيود ، فبدأت شديدة الوطأة ، ثقيلة القيود حتى جاءت حكومة الوفد ، فجعلت الرقابة شيئا هينا ، وفتحت الباب على مصراعيه لمن يريد أن ينتقد سياستها ، أو يبدى رأيه فى تصرفاتها وأنكم لأدرى الناس برقابة الأمس ورقابة اليوم !

فلا أزيدكم علما بما تعلمون ، وإنما أسجل هنا حقيقة من الحقائق المتصلة بحرية الرأى ، لأن الصحافة هى مظاهر هذه الحرية ورأس مالها ... ولا أرانى بحاجة الى المقارنة والمفاضلة فان صحفكم اليوم شاهدة بهذه الحقيقة ، ناطقة بها ، فمن قرأها ظن ألا رقابة عليها — لأن الأحرار من الناس لا يخشون الحريه ، بل يحثون عليها ويدعون اليها .

ومهما يكن من شىء — أيها الاخوان — فان دوى المدافع لابد أن يصمت يوما وان طال الانتظار ، ولابد أن تقف دائرة الحرب عن غاية وان بعدت النهاية .

أقول لكم بأن مهمتكم يومئذ ستهون . . . ولكنى أقول الى أن هناك مهمة شاقة تنتظركم ، فحينذاك — سيفتح ميدان تكونون أنتم قواده وجنوده ، وأعلامه وبنوده ، وسيكون البناء موكولا لأقلامكم ، والتدعيم منوطا باخلاصكم ، سيكون لكم الرأى فى إعلان الحقيقة التى ترفعنا ، وتوضيح العقيدة التى تربطنا ، وكل منكم فى هذا عون لأخيه ، وأنتم جميعا بهذا فى عون هذا الوطن وبنيه — وليست بعد الوطن غاية كما تعلمون .

سيفيق العالم فى مطلع الغد الى نفسه ، وسيعود من جديد يبحث عن امتداده فى نوعه وجنسه ! وستقوم دولة الفكر والرأى لتراب الصدع البالغ الذى أحدثته دولة القوة والصولة .

وستكون مصر من تلك فى مضطرب واسع فسيح، تبنى لنفسها وتؤدى ضريبة الأخوة لشقيقاتها ، وتنهض بما يؤكد الروابط القائمة بينها وبين صديقاتها ، وسيكون معظم العبء فى هذا كله على الصحافة ، أى عليكم أنتم ، تفكرون وتقدرون ، وترسمون وتنهجون ، وتطالبون لكل فرد بما تنطوى عليه ذاته ، وللمجتمع بما يقوم عليه كيانه وبنيانه .

ولست أشك أيها الإخوان فى إننى أقدر تلك المهمة الشاقة ، وأعرف ميدان الجهاد الذى ينتظركم .

ولا شك أيضا أنكم مثلى تقدرون وتدركون ، ويسرنى أن ألمس وجهتكم الى هذا القصد وأن أضع يدى على هذا فى أيديكم ، وأن أكون دائما فى عونكم . وانها لمعونة أخ لإخوانه غرضهم متفق ، وهدفهم مشترك ، وغايتهم واحدة — هى الله ووطن العزيز —

أيها الإخوان الأبرار :

لقد استمعت الى ما ذكره خطباؤكم ، وما تحدث به حضرة نقيبكم ، عما قدمته الحكومة القائمة وعلى رأسها الزعيم الأمين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، الى نقابتكم من خدمات ومساعدات . استمعت لثنائكم على الحكومة فيما صنعت ، واشادتكم بما أسدت ، وإنى لأقول لكم ان ما صنعنا ليس إلا بعضا مما اعتزمنا ، وانه لبعض الدين يوفى لأصحابه ، وقليل من الفضل يرد الى ذويه وأربابه .

ففى سبتمبر سنة ١٩٤٢ ، قررت الحكومة إعانة نقابة الصحفيين بألفين من الجنيهات وصرفت الاعانة فعلا ولأول مرة ، فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، كما صرفت إعانة سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤ فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٣

وكان من حسن التوفيق أن يتم وضع مشروع إنشاء صندوق الادخار لأعضاء النقابة فى هذا العهد ، إذ أقرته لجنة الجدول ، واعتمده حضرة صاحب المقام الرفيع فى ٨ أبريل سنة ١٩٤٣

ثم قام مجلس النقابة بوضع لائحة خاصة لعقد استخدام الصحفيين ، وقد عرضت على لجنة الجدول للنقابة فأقرتها بعد ادخال كثير من التعديلات عليها ؛ ثم قدمت الى فصدقت عليها فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣ و بذلك تم وضع الأساس الذى تقوم عليه العلاقة بين رجال الصحافة .

وكان لابد للنقابة من مكان يصبح مركز نشاط أعضائها ، ومنتدى لاجتماعهم فى أوقات فراغهم ، وكان من حسن الطالع أن أخليت هذه الدار ، وما أن رأت النقابة فيها مكانا صالحا لأغراضها حتى بادرت باصدار الأمر بتسليمها لها وبهذا أصبحت مركزا للنقابة وناديا للصحفيين .

أيها السادة : تمت هذه الخطوات فى عهد الحكومة الحاضرة ، وهى لا تألو جهدا ولا تدخر وسعا فى عمل كل ما يكفل للصحافة والصحفيين استقامة أحوالهم ورفعة شأنهم ،

وتوفير أسباب الراحة والمساعدة لهم ، والحكومة إذ تفعل هذا إنما تفعله عن إيمان بما للصحافة من فضل فى حسن توجيه الرأى العام .

ولقد طلب الى نقيبكم الفاضل أن تساهم الحكومة فى صندوق الادخار عن طريق التبرع له فى أول عهده بمبلغ من المال ، فبعثته بتحقيق هذه الأمنية ، وها أنذا أبر بوعدى وأسلمه شيكا بمبلغ ألف جنيه مساهمة من وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذا الصندوق ، كما أقدم لحضرة النقيب شيكا بمبلغ ألفى جنيه قيمة إعانة النقابة عن السنة المالية الجديدة ، ولعله أول مبلغ يصرف من ميزانية وزارة الداخلية الجديدة هذا العام .

أيها الإخوان .

إنى لأرى من واجبى أن أبادلكم الشكر بالشكر ، وأن أشيد بصنيعكم كما أشدتم بصنيعنا ؛ فلا ينبغى فى هذا المقام الا أن أذكر بالتقدير والإكبار تلك الجهود التى بذلها نقيبكم السابق صديق الأستاذ محمود أبو الفتح ، فقد استطاع وهو الصحفى المخلص لمهنته ، أن يأخذ بيد النقابة وهى فى مدرج خطوها ، فلم يلبث أن ركز جهودها ، ووضح شخصيتها وأقامها هيئة محترمة لها كيانها ومكانها ، وليس هذا بالغريب عليه ، فانه صاحب الصولة فى ميدان الصحافة الحرة النزيهة ... ثم تلقى النقابة من بعد ، نقيبكم الحالى صديقى الأستاذ محمد عبد القادر حمزة . وهو كما أعرفه الصحفى المجد الطموح ، الذى جمعت شخصيته بين الشباب والنباهة . وما ورثه من من المرحوم والده من التجارب والحنكة ، فهو فى المهوض باعباء مهنته مثال التضحية والفناء ، وطراز عال من الاخلاص والوفاء ، أسأل عنه فى الساعة الثامنة صباحا فاجده فى مكتبه بالجريدة ، يسبق موظفيه إلى العمل ، ويتقدمهم فى جهدهم والبذل ، حتى أصبحت صحيفة (البلاغ) بفضل جهده ، من أمهات صحف الشرق ... وليس وفاؤه هذا لعمله الا صورة ناطقة من وفائه لمهنته ولإخوانه ... جزاه الله عن عمله هذا خير الجزاء .

كما أقدم خالص شكرى لحضرات أعضاء مجلس إدارة النقابة جميعا ، وأشيد بما لمسته فيهم من اخلاص وتفان فى خدمة هذه النقابة وأعضائها المحترمين .

وختاما ، أكرر الشكر على أن أتحتم لى هذه الفرصة السعيدة ، سائلا المولى جل وعلا أن يحسن عنى جزاءكم ، وأن يوفقنى دائما الى مرضاتكم ، وأن يجعل المودة الصادقة صلتى بكم وعهدى معكم . . فى ظل مليك مصر المعظم فاروق الأول أيد الله ملكه ، وملأ بالخير والنعمة عهده .

والسلام عليكم ورحمة الله .

فؤاد سراج الدين